مجلة دراسات دوليّة

اسم المقال: المواطنة الهشة في ظل الحداثة السائلة عند زيغمونت باومان
اسم الكاتب: أ.م.د. محمد هاشم رحمة البطاط
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/7376
تاريخ الاسترداد: 2025/05/14 13:15 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة دراسات دوليّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

المواطنة الهشّة في ظل الحداثة السائلة عند زيغمونت باومان

أ.م.د. محمد هاشم رحمة البطاط

تدريسي في كلية العلوم السياسية –الجامعة المستنصرية

The Fragile Citizenship in the Liquid Modernity according to Zygmunt Bauman

ASS.Pro.Dr: Mohammed Hashim Rahmah Albattat

College of Political Science _Almustansiriyah Uni.

Mh.albattat@yahoo.com 07738577734

ملخص البحث:

يسعى هذا البحث الى دراسة المواطنة الهشّة النيي طرحها المفكر البولندي زيغمونت باومان في تحليله للحداثة السائلة، وتأثيرها المتواصل على الفكر والفعل السياسيين، وقد تم تقسيم البحث الى ثلاثة مباحث، في المبحث الاول تم تناول انتقال الحداثة الغربية من الصلبة الى السائلة، والانفكاك بين السلطة والسياسة، أما المبحث الثاني تم فيه التعرض الى التفريد، والمواجهة بين الفرد والمواطن، أما المبحث الاخير فكان لبحث تأثير المواطنة الهشة على الدولة الغربية المعاصرة من زاوية تحولات الدولة الحارسة، وتغيرات اليوتوبيا في الفكر السياسي الغربي المعاصر.

الكلمات المفتاحية: المواطنة الهشّة، التفريد، الحداثة الصلبة، الحداثة السائلة، زيغمونت باومان.

Abstract:

This research is trying to study the fragile citizenship put forward by the Polish thinker Zygmunt Baumann in his analysis of liquid modernity, and its continuous impact on political thought and action. The research was divided into three sections. In the first section, was dealt with the transition of Western modernity from solid to liquid, and the separation between power and politics. As for the second section, the exposure to individualization and the confrontation between the individual and the citizen was dealt with. As for the last section, it was to discuss the impact of fragile citizenship on the contemporary Western state from the perspective of the transformations of the guardian state, and the changes of utopia in contemporary Western political thought.

The Key words: the Fragile Citizenship, Individualization, the Rigid Modernity, the Liquid Modernity, Zygmunt Bauman.

المقدمة:

لقد مثّل المنجز المعرفي الذي قدمه المفكر البولندي زيغمونت باومان (1925–2017م)(*) واحداً من اهم المنجزات المعرفية الساعية الى مقاربة موضوع الحداثة وما بعد الحداثة في سياق الفكر السياسي الغربي المعاصر، إذ يُعد باومان احد أهم النقاد ومفككي الحداثة وما بعدها، بكل حمولاتها وإرهاصاتها الفكرية والسلوكية، لقد إعتقد باومان أن الحداثة، التي يُطلق عليها "الحداثة الصُلبة" The Rigid Modernityقد إنطلقت بسرعة كبيرة مدفوعة بهوسٍ فعّال ووسواس قهري للتقدم والتحديث، الأمر الذي قاد الى الوصول الى "الحداثة السائلة" The Liquid Modernity، والتي بدورها أدخلت المجتمعات الغربية المعاصرة في دوامةٍ من الهوس الاستهلاكي والرغبة العارمة بالتغيير ضمن دالة الإفراط في التعامل مع الفرد ومحوريته داخل هذه المجتمعات، بشكل حمل معه تحولات خطيرة في المواطنة وطبيعتها في الدول الغربية، بشكل حوّلها الى مواطنة هشة، كانت الغلبة فيها للفرد على حساب المواطن، ولا سيما في ظل التعارض والتقابل الذي يطرحه باومان بين الفرد والمواطن.

يهدف هذا البحث إلى تقديم مقاربة فكرية سياسية للمواطنة الهشّة بوصفها أحد إرهاصات الحداثة السائلة، وهو ينطلق من فرضيةٍ مفادها ان التحولات التي قامت بها الحداثة السائلة ألقت بظلالها على المواطنة، جاعلةً منها هشّة، بما قاد الى إضعاف وتقزيم فكرة المواطنة والجماعية، وهذا بدوره أثّر على الدولة المعاصرة وطبيعتها، وقد تم الاعتماد في سبيل إثبات هذه الفرضية على منهج تحليل المضمون.

ومن أجل الإحاطة بتلابيب الموضوع كافة، تم تقسيم البحث إلى المباحث الآتية:

المبحث الأول: الحداثة الصُلبة والحداثة السائلة

المبحث الثاني: التفريد والمواطنة الهشة

المبحث الثالث: المواطنة الهشة والدولة المعاصرة

(المبحث الأول)

الحداثة الصُلبة والحداثة السائلة

أولاً: الحداثة/ من الصلابة الى السيولة:

في سياق تفكيكه للعلاقة بين الحداثة وما بعدها، لم يرغب باومان في التماشي مع التداول الاصطلاحي المألوف تجاههما، بل عَمَد الى تقديم رؤيته الخاصة لتحديد التمايزات المفاهيمية بين الاثنين، إذ استخدم مصطلح الحداثة الصُلبة للتعبير عن الحداثة، والحداثة السائلة كتعبيرٍ عن ما بعد الحداثة، ويؤكد باومان على ان ما دفعه الى هذا التمييز هو الرغبة في تأكيد سمة التغيير وعدم الثبات في مرحلة ما بعد الحداثة، والهوس المضطرد بعدم الاستقرار على الأمور ولا ثباتها، والسعي المتواصل الى التبدل والتحول، فهو يؤكد أن "ما كنا نسميه خطأً ما بعد الحداثة قررتُ أن أسميه بوضوح الحداثة السائلة، انما السبب هو الايمان المتنامي بأن التغيير هو الثبات الوحيد، وان اللايقين هو اليقين الوحيد"[1]، وكأن باومان يريد ان يضفي مزيداً من التاكيد على البردايم/النسق الفكري الجديد الذي حصل في الفكر السياسي الغربي المعاصر، وحمولات هذا البردايم من عدم الثباتية، والتحول الذي طرأ ويطرأ على كل شيء، فهو يشخّص في موضع أخر ان استخدامه للحداثة السائلة مرجعه التحديث الوسواسي القهري المكثف الذي افضى الى عدم قدرة اي من أشكال الحياة الاجتماعية المتتالية بأن تحتفظ بشكلها زمناً طويلاً تماماً مثل المواد السائلة[2].

ومن ثم نحن امام تغيير متواصل عبر الية تصاعدية مندفعة بما يشي بحالةٍ مرضية طغت على العقلية الغربية المنطلقة بهوسٍ وسواسيٍ قهري، يجبر الافراد على التحول المستمر، والتبدل الدائم، وكما هو معروف ان الطابع الفيزيائي للسوائل والموائع يتقوم بعدم اتخاذ شكل دائم، فهي "على العكس من المواد الصلبة لا يمكن ان تحتفظ

بشكلها بسهولة، فالموائع، إذا جاز التعبير، لا تثبّت الحيز المكاني، ولا تعوق حركة الزمن، فلا تحتفظ بشكلها فترة طويلة"[3]، وربما يمكن إضافة سبب اخر الى المبادلة التي قام بها باومان بين الاصطلاحات، ألا وهو الاشكاليات المعرفية التي ثارت غير مرة بين المتخصصين حول التحديد الواضح والمميِّز لمصطلح "ما بعد" التي جاءت بعد الحداثة، فهي هل قطيعة تامة، ام قطيعة تواصلية، ام بين هذه وهذه[•]؟

ان تأكيد باومان على سمة السيولة في الحداثة يهدف تكثيف الدلالة والاشارة تجاه التحولات التي حصلت في الحداثة، التي هي صلبة، الى سائلة، مرنة، غير قادرة، وربما غير راغبة أساساً، في الاحتفاظ بثوابتها، أو حتى البعض منها، الأمر الذي يكشف عما أطلق عليه بالوسواس القهري، الذي بلغ به الامر ان يسلب الارادة، والقدرة، على التوقف في مرحلة ما، بخلاف الحداثة الصلبة، التي وإن كانت قد إعتمدت على الاذابة في مسارها التاريخي كردة فعل على ما قبل الحداثة، إلا ان الاذابة والسيولة داخلها كانت مؤقتة، غير ثابتة، فهي إذابة من أجل الصلابة، وليست إذابة من اجل الاذابة الدائمة، من هنا أضحى اللايقين هو اليقين الوحيد ضمن بردايم الحداثة السائلة.

لقد قامت الحداثة السائلة، تماشياً مع النزعة الافراطية/الهوسيّة في التغيير في تحويل الافراد الى مجموعة من المستهلكين المنطلقين بقوة الرغبة في المواكبة والتغيير، فكل جديد مرغوب مهما كانت سلبياته، كل قديم مرفوض مهما كان ما يحتويه من إيجابيات، هذا الامر لم يكن بهذه المديات خلال الحداثة الصلبة، التي أسست لقواعد ثابتة، أو لنقل، أوجدت قوالب صُلبة لها بعد اذابتها لما قبلها، فـ"الحياة السائلة حياة استهلاكية، إنها تجعل من العالم بكل أحيائه وجماداته موضوعات للاستهلاك، تفقد نفعها عند استخدامها"[4]، اي هي حياة تتمركز حول الاستهلاك، وبالوفاق مع الطبيعة الاستهلاكية، لا بد ان تستغني عن القواعد والضوابط، اي انها تهتدي بهدي الإغراء والرغبات المتزايدة والاماني المتقلبة على الدوام[5]، فمن الطبيعي ان يتحول كل شيء

الى زائل، مؤقت، سائل، لا يحظى بقدرته على الثبات والدوام طالما دخل في آتون النمط السلَعي الاستهلاكي، فكل شيء صار له تأريخ نفاد وانتهاء صلاحية، وهكذا فإن "التحولات التي طرأت على الحياة المعاصرة بإنتصار العقلانية الرقمية، او العقلانية التقنو–علمية، حولت كل شيء الى سلعة استهلاكية تنتهي بإنتهاء صلاحيتها ونفعها، وهذا ما أثر على سيكلوجية إنسان ما بعد الحداثة، وجعلته مجرد ترس في آلة ماكنة ضخمة"[6].

ولأن الحداثة السائلة لا تعترف بالحدود والثوابت، ولا تقف عند النهايات، فإن التحول للاستهلاك لم يتوقف عند حد السلع المادية، بل تعداه الى افراد المجتمع انفسهم، صرنا أمام حالة بـ"تسليع المستهلكين"، يقول باومان "صار البشر أنفسهم بضائع استهلاكية يجري استخدامها والتخلص منها في سلة المهملات، لقد خلقنا حضارة التخلص من الفوارغ"[7]، ويبدو ان باومان، وهو المتأثر بتنظيرات مدرسة فرانكفورت، والداخل ضمن مناخاتها، يأخذنا قريباً مما نظّرت له من تسليع للثقافة، وتحولات التشيؤ في الذات الانسانية، بيد ان باومان تقدم خطوة للأمام جراء ما صهرته الحداثةُ السائلة وأذابته، فهي توغلت في تحويل الناس الى بضائع استهلاكية بعد أن ادخلت الناس في وسواسها القهري بالتغيير والتحديث، نحن أمام ما يُطلق عليه باومان بـ"مجتمع المستهلكين" الذي يكون الغرض الفارق فيه ليس اشباع الحاجات والرغبات والامنيات، بل تسليع المستهلك، أو اعادة تسليعه"[8].

ووفاقاً مع تغول سمة الاستهلاك، وولوجها كل مسامات الحياة ومجالاتها، وتصيّر الانسان المعاصر في ظل الحداثة السائلة الى سلعة استهلاكية، يكون من الطبيعي ان تتحول العلاقات الانسانية الى روابط هشّة، يطغى عليها الطابع المؤقت، الاستهلاكي المتلفع بخاصية التبدل وعدم الثبات، فقد "صارت الروابط والعلاقات أشياءَ نستهلكها لا

ننتجها"[9]، وفي سياق معادلة السوق التجارية، تكون العلوية للجديد، المُغري، القادر على جذب الانتباه، واشباع الحاجات المؤقتة، والسريعة، انه عيشٌ لحظي سريع، تكون الحياة فيه متمركزة حول الاستهلاك، ومن ثم لا بد ان تستغني عن القواعد والضوابط، وتتهدي بهَدي الاغراء والرغبات المتزايدة والاماني المتقلبة على الدوام[10].

هكذا يتضح تدريجياً معالم التحول والانتقال من الحداثة الصلبة الى الحداثة السائلة، هو تحول من وجود ثوابت صلبة الى سائلة، أي أننا صرنا أمام تحولات جوهرية في الفكر السياسي الغربي، إذ ان الحداثة الصُلبة، وعلى ما قامت به من إذابات وتغييرات جذرية داخل المنظومة الفكرية الغربية، بيد أنها عمدت لاحقاً الى صب قوالبها الصلبة مرة أخرى، وبعبارة أخرى، كانت الاذابة في الحداثة الصلبة وسيلة الى تحقق أخر للصلابة، الا انها في الحداثة السائلة صارت الغاية المرجوة والمبتغاة، إنها النهاية المتشبعة بالسيولة والتغير والتبدل، وهذا شكل بعداً خطيراً في هوس البحث عن الجديد، وتحويل كل المقتربات المتعلقة بالإنسان، بل حتى الانسان نفسه، الى سلع استهلاكية، لها تأريخ إنتاج وصلاحية تنتهي بتأريخ النفاد.

ثانياً: الحداثة السائلة وإنفكاك السلطة عن السياسة

يعتقد باومان ان المرجعية الأُسية في الازمة الراهنة في الفكر السياسي الغربي، والتي توسعت داخل المجتمعات الغربية المعاصرة بشكل خطير في ظل الحداثة السائلة، تعود في أصلها الى عملية "تفكيك" جوهرية، وحساسة في آن واحد، وهو ما يُطلق عليه بـ"تفكيك النُظم"، إنه الانفكاك والانفصال المتحقق بين السلطة "القدرة على فعل الاشياء" والسياسة "القدرة على تحديد الاشياء التي ينبغي فعلها"[11]، أي الانعتاق بين عنصرين أساسيين في معادلة الفعل السياسي وقضايا إدارة الشأن العام، والّذان طالما كان التواشج بينهما على قدمٍ وساق لغير قليل من الزمن، فقد كانت السلطة، بما

تتضمنه من تفاصيل القوة والقدرة والنفوذ، وتطبيقات الامر الواقع المقدور على تحققه، وبكل تضاعيف الارادة العليا القادرة في المجتمع، تتطابق مع السياسة التي تحدد ما ينبغي وما لا ينبغي، أو بتعبير أخر، تحديد السياق المثالي للفعل السياسي الذي تهدف الجماعة السياسية المتعاقدة لتحقيقه، غير ان تعدد مراكز القرار، أو لنقل تعدد "مراكز الفعل" نتيجة الدخول في شبكة كثيفة من الفواعل وعلاقات الاعتماد المتبادل، حقق هذا الانفكاك الخطير الذي شكّل نتاجاً طبيعياً ضمن مناخات الحداثة السائلة.

لقد كان المتوقع، كما يرى باومان، من ثنائية السلطة والسياسة، منذ نشاه الدولة الحديثة وحتى وقت قريب جداً، أن يعيشا معاً تحت سقف الأمة/الدولة إلى ان يُفرق الموت بينهما[12]، فهي ضرب من ضروب علاقات الزواج الكاثوليكي الذي لا تنفك عُراه إلا بالموت كما يستقي باومان تأويله هذا منه، إلا ان زمن الحداثة السائلة حصل فيه الانتقال الجوهري للسلطة، فلم تعد الدولة/السياسة المالكة للسلطة بكل حيثياتها وتفاصيلها، وإنما انتقل جانب كبير من سلطة الدولة الحديثة الى الفضاء العولمي، أي الفضاء الواسع الذي فرضته العولمة الراهنة، ومن ثم لم تعد كل السلطة للدولة هذا من جهة، ومن جهةٍ اخرى، لم تعد السياسة بقادرة على الفعل العالمي، إذ انها تبقى سياسة محلية لها أطرها الخاصة بسياق جزئي داخلي صغير، يتضاءل شيئاً فشئياً، لقد غيَرت العولمة، وفضاءها المتسع بشكل تصاعدي، طبيعة العلاقة بين السلطة والسياسة، فالسياسة لم تعد قادرة على الاحتفاظ بخاصية الارادة العليا داخل المجتمع السياسي، أي الفاعلية السلطوية والقدرة على التحكم والإرغام، ألم تكن هذه الميزة أحد الاهداف الاستراتيجية المرجوة من نشأة السلطة السياسية في ظل النظريات المفسرة لها؟

كأن زيغمونت باومان يريد أن يأخذنا الى أن الانفكاك الخطيرة المتحقق ضمن مناح الحداثة السائلة أدخل تغييرات جوهرية في العلاقة بين شبكة والعلاقات والنظم

والأطر السياسية في المجتمع، وهو يسير –الإنفكاك– ضمن متوالية تتعالى في مدياتها المتسعة تدريجياً، ففي كل يوم تزداد مستويات السلطة المعولمة، وترتفع مناسيبها، إن جاز التعبير ولاق، وفي الوقت عينه، تنخفض مناسيب وأفق الفعل السياسي، أو لنقل، السياسة ومقرراتها ومحدداتها فيما ينبغي فعله.

ويعتقد جون ادامز ان زيغمونت باومان يسعى الى توجيه الاتهام الى العولمة التي جاءت مدفوعة بهوس الانفتاح بين كل شيء، وعلى كل شيء، في إيجاد شكل جديد للعلاقة داخل الدولة ومؤسساتها، بالشكل الذي قاد ويقود الى مزيد من الازمات السياسية، والاخفاقات التي جاءت السياسة لتحلها في الدولة، فتعدد مراكز القرار، وهيمنة الارادة الخارجية المعولمة على الارادة الداخلية لسياسة الدولة، فرضت نمطاً من التخلي عن الواجبات، وتركت الافراد يوجهون المصير المجهول بمعزل عن قدرة السياسة على إرجاع السلطة اليها[13].

إن الارتباط بالفضاء العولمي، وعلاقته بالانفكاك بين السلطة والسياسة، أقحم الاخيرتين في حالة من الانجراف المتواصل في اتجاهين متعاكسين، هذا الانجراف الذي تسرب في مجتمع أجبر على الانفتاح بسبب الضغوط التي تمارسها قوى العولمة، من هنا يرى باومان أن مشكلة القرن الحادي والعشرين تتمثل في توحيد السلطة والسياسة، ويصف هذه المشكلة بأنها التحدي الأكبر[14]، لأن جمع شمل الزوجين المنفصلين تحت سقف الأمة/الدولة ربما يكون أقل الاستجابات الممكنة الواعدة لمواجهة هذا التحدي، إذ يعتقد باومان أن الكوكب صار يخضع لعولمة سلبية، وفي وضع كهذا، أن ابرز المشكلات الاساسية تتسم بانها مشكلات عولمية، ولكونها عولمية فهي لا تسمح بأية حلول محلية يمكن ان توجد لرأب الصدع أو حلحلة الامور يقول باومان "ما من حلول محلية لمشكلات تصدر عن العولمة، وتُحييها العولمة، فلا يمكن جمع السلطة والسياسة الا على المستوى العالمي...، فلا يمكن ضمان الديمقراطية ولا الحرية

ضماناً حقيقياً كاملاً في دولة واحدة، ولا في مجتمع من الدول، فدفاعهم في عالم يعاني من الظلم، ويسكنه بلايين البشر المحرومين من الكرامة الانسانية، سيفسد حتماً القيم المدافعة عن الديمقراطية والحرية، فإما أن تضمن مستقبل الديمقراطية والحرية على نطاق الكوكب بأسره، او لا تضمنه نهائياً"[15].

ربما يمكن القول ان زيغمونت باومان يريد يكشف لنا على حله الخاص لأبرز التحديات المعاصرة للقرن، إذ طالما ان الانفكاك بين السلطة والسياسة تحقق بفعل الضغط العولمة، وطالما ان الانفتاح المفروض صار أمراً واقعاً، فإن الحلول المحلية عاجزة ان تجد طريقها الى اعادة ترسيم العلاقة، او اعادة رسم علاقة تواشجية بينهما – السلطة والسياسة–، إذن نحن أمام واقع معولَم في ظل حداثةٍ سائلة، والحلول يجب ان تكون متماشية ذاتياً مع الواقع هذا، ومن ثم الحل يكمن في الفضاء العولمي نفسه، جراء التعانق والترابط في الدول والمجتمعات حالياً، لكن السؤال الاساس الذي يُطرح هنا: إذا كانت العولمة الحالية هي عولمة سلبية من وجهة نظر باومان، وأن المتحكم في الفضاء العولمي هي الشركات العملاقة التي حولت كل شيء الى سوق، وبضائع ومستهلكين، كيف يمكن ايجاد مخرج عولمي ضمن ضغط كبير عجزت عنه حتى الدول في حماية نفسها منه مع ما كانت تملك من صلاحيات وعناصر إرغام محلية؟ وبعبارة أخرى، هل ثمة ممكنات لايجاد حل لهذا التحدي الاكبر داخل نفس الفضاء العولمي؟ ربما تكمن الاجابة ضمن الفكر السياسي لباومان في الانتقال، او لنقل تحويل العولمة من حالتها السلبية الى حالتها الايجابية، وهو ما يسعى اليه دائماً في نقده المتواصل للعولمة، بيد ان الميكانزمات التي تشتغل عليها العولمة تجعل من الصعوبة بمكان إيجاد مخارج من الانسدادات التي أوجدتها الحداثة السائلة والعولمة في سياقها المعاصر، فحتى المنظمات والمؤسسات الدولية وقفت وتقف، في كثير من الأحيان،

عاجزة عن إيجاد حل للوضع المأساوي للمجتمعات المعاصرة وهي تتلوع جراء ضغط عولمة السياسة ونهم الاستهلاك، وهيمنة الافقار والتجويع والقتل في عالم اليوم، وهذا إشكال أساس يرد على المنظومة الفكرية السياسية لباومان في هذا السياق.

(المبحث الثاني)

التفريد والمواطنة الهشة

أولاً: التفريد Individualization:

إن الوصول الى حالة الهشاشة التي إجترحت المواطنة المعاصرة شكّل تعبيراً عن مخاضات ما يُطلق عليه زيغمونت باومان بـ"نزعة التفريد Individualization"، بكل ما تنطوي عليه من تضاعيف التفكيك للعلائق الاجتماعية من زاويتها السياسية، الامر الذي يفضي الى الزامية توضيح السياق الدلالي للتفريد وفقاً لتحليل باومان، ومن ثم بيان الفوارق والموائز بينه وبين الفردية. إذ ينطلق باومان في بناء المسار السيروري للمواطنة الهشة في ظل الحداثة السائلة من أهمية العودة الى الفرد، وإلزامية توضيح الميكانزم/الآلية التي تم وفقها التعاطي معه داخل هذا الفضاء، إذ دعت الحداثة السائلة بتأكيدها على النهم الاستهلاكي والعيش اللحظي الراهن، إن جاز التعبير ولاق، إلى خصخصة كل الأمور بشكل مفرط، وجعل الفرد في حالة من الأحادية المطلقة التي أقصت كل ما يمت به للآخرين بصلة، فالتفريد "نشاط متواصل تُحدثه سيرورة النزعة الفردية"[16]، أي هو الايغال المستمر في التأكيد على الفرد وأحاديته ضمن متوالية تصاعدية تستهدف الخصخصة المطلقة لكل المهام والوظائف والمسؤوليات.

وهكذا تأتي نزعة التفريد بوصفها ميلاداً جديداً للفرد في المجتمع الغربي السائل، فهو –التفريد– نتاج لسمة دائمة لسيرورة التحديث الوسواسي القهري المتواصل على الدوام كما يرى باومان[17]، إن الضغط الكبير الذي لا يتيح مجالاً للاختيار أو إبداء التحفظ والانتقاد، لأنه سيل يجرف كل من يقف بوجهه في مجتمع الاستهلاك الذي

يبحث بنهم عن أفراد مستهلكين لا يشكل بناءً اجتماعياً متراصاً أو متفاعلاً[18]، فالمجتمع الغربي المعاصر الذي يعيش التبدل الدائم في كل شيء تماشياً مع الخاصية الفيزيائية للسوائل، ألقى بظلاله على أحد الركائز الاساسية للديمقراطية الليبرالية، والمتمثلة بالفرد، لم يعد مجتمعاً يعتكز على مجموعة الافراد الذين يعيشون معاً بوصفهم أفراداً، بل صار كل فرد له مجتمعه الذاتي الخاص به بعيداً عن الافراد الاخرين، إنه الايغال في الذاتية التي قلبت الفكرة السياسية الجوهرية لليبرالية الغربية، أو لنقل هو تحول جديد وخطير، كما يرى كارل سكايمان، وتشخيص دقيق من باومان يكشف عن تحول جديد وخطير في الغرب يسعى الى فك كل الارتباطات الاجتماعية والسياسية بين أفراد المجتمع بما يقود الى التفكك السريع[19].

أما فيما يتعلق بالعلاقة بين الفردية والتفريد، من الأهمية بمكان القول أنه إذا كانت الفردية التي تطورت داخل الفكر السياسي الغربي ضمن مناخات النهضة الاوربية، وسيرورة الليبرالية السياسية، تعني إيلاء أهمية خاصة للفرد جاعلةً منه المحور الأساس في عملية البناء السياسي، وإعطاءه الاهمية المعظامة على حساب المجتمع، ومن ثم نكون أمام مرتكز الفردية كأحد أبرز المرتكزات الفكرية السياسية للديمقراطية الليبرالية، فإن التفريد يأتي بوصفه نزعة إستغراقية في الفردية بشكل يجعلها تخرج عن نطاقها الطبيعي الذي حُدد سابقاً، أو تجاوزاً دياليكتيكياً بما يشي بتحولات تضرب عمق الفكر والسلوك السياسيين الغربيين.

وربما نستطيع بيان أبرز الفوارق بين الفردية والتفريد بما يمكن إستشفافه من السياق الفكري لباومان وفقاً للاتي:

1- تأتي الفردية كإتجاه أو مذهب يسعى الى الاهتمام الخاص بالفرد، وعدّه الركيزة الأساس في المجتمع السياسي، وهذا ما تكشفه الإلحاقة اللغوية "ISM" في

آخر مصطلح Individualism، في حين يأتي التفريد نتيجةً لوجود دفع وإكراه وإجبار في التحول من العام إلى الخاص، أو لنقل من الجماعي الى الفردي، وهذا ما توضحه الإلحاقة اللغوية "ZATION" في نهاية مصطلح Individualization، وكأننا نكون أمام جهة تدفع بشكل إكراهي للتحول القسري صوب الفردية المتوحشة، وهو شبيه بدخول هذه الإلحاقة على كلمة عالمي "Global" والتي تحولها الى مصطلح "العولمة Globalization"، وكما هو معلوم ان ديناميكيات العولمة تهدف الى تحويل الشيء بقوة كبيرة الى العالمية بشكل إكراهي للآخرين، ويجبرهم على تمثل الإنموذج الديمقراطي الليبرالي بشكل لا يتيح لهم الخيارات المتعددة، وهذا ما حصل مع التفريد داخل الحداثة السائلة.

2- تطورت الفردية في الفكر السياسي الغربي بشكلها الطبيعي الذي بقي، بشكل عام، ضمن حدوده المعقولة، دون الولوج في الافراط الكبير، مع بعض الاستثناءات في الفكر السياسي الغربي قد نلاحظها في بعض التضاعيف والتفاصيل، في حين أن التفريد يهدف الى الوصول بالدفع بالخصخصة والفردية الى حدود كبيرة، تصل الى مستوى المغالاة والإفراط، مما يدخلها في محيط إستغراقي كبير، وبعبارة أخرى، ان الفردية، وعلى ما لاحظته في تطوراتها على مدى قرون من إيجابيات في التركيز على خصوصية الفرد وخصخصة شؤونه، لم تسعَ الى الافراط في التعامل معه بالشكل الذي يوصل الى التأثير الكبير على الفاعلية السياسي له، بل أبقته دون مستويات الافراط الدافعة صوب التفكك والانعزال الخاص، في حين أن نزعة التفريد سعت وتسعى الى الافراط في تهويل الفرد، وعدم القبول بمستوى معين من الاهتمام به.

3- جاءت الفردية في تطورها الليبرالي لتدعم المجتمع السياسي، إذ سعت الى تقويته من خلال إعادة توجيه البوصلة من الكيان الكلي "المجتمع" الى الكيان الجزئي "الفرد"، بينما جاءت نزعة التفريد لتحول الفرد من داعم للمجتمع السياسي الى محطم له، ومفكك لأواصره بشكل مضطرد، إذ كان تقادم الزمن ضمن الفردية يعني إبقاء الاهتمام بالشأن العام، في حين أن التفريد أوجد حالة من الانفصام بين الفرد والشأن العام.

4- في مسارها التطوري، حافظت الفردية على مستوى معين من الثبات السياسي الخاص بها في إطارها المفاهيمي أو في التطبيقي، مع وجود بعض التحولات الجزئية التي لا ترقى الى المستوى الذي يمس الجوهر والأساس؛ لكونها نشأت داخل فضاء الحداثة الصلبة، أي أنها ترتقي على السمات العامة الثابتة بمديات واضحة، أما التفريد، ولكونه نشأ وتطور ضمن مناخ الحداثة السائلة، فهو لا يتخذ شكلاً محدداً، ولا إطاراً مفاهيمياً يمكن تلمسه بثوابت ستاتيكية واضحة، هذا ما يؤكد باومان بقوله "إن معنى التفريد يظل متغيراً، ويتخذ أشكالاً جديدة على الدوام"[20].

ثانياً: الفرد في مواجهة المواطن:

سعى زيغمونت باومان في مقاربته لتحليل الدور الذي لعبته نزعة التفريد في تحقق المواطنة الهشة، الى بيان المدخلية لهذه النزعة في تفكيك البنية الاجتماعية بشكلٍ عام، وجانبها السياسي بشكل خاص، فالاستغراق في الدفع تجاه خصخصة كل شيء، وتحويل المسؤوليات والواجبات الى سياقٍ فرديٍ بحت قاد الى تقزيم العلائق والوشائج الناظمة للفعل السياسي، وهذا طبيعي طالما ان الاخير يعبر عن نتاج الاهتمام بالشأن العام، والحداثة السائلة في تفريدها تُدخل الأفراد داخل اتون الشأن

الخاص المطلق، لقد سعت الحداثة السائلة الى القضاء على الكيان الكُلي المعبّر على الهوية الجماعية للأفراد "المجتمع"، ويستشهد باومان بعبارة لرئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر التي أعلنت فيها بصراحة "لا يوجد شيء أسمه المجتمع"[21]، للتأكيد على أن المجتمع بوصفه هوية جماعية يأتلف فيها الناس لبحث وتحديد والقيام بالقضايا الجماعية إنتهى، وعلى كل فرد أن يهتم بشؤونه بنفسه، وفي السياق نفسه يقول الكاتب بيتر دراكر "لم يعد يوجد خلاص على يد المجتمع"[22]، ففكرة الخلاص والانقاذ الجماعي لم يعد لها وجود في ظل الاذابة المستمرة للحداثة السائلة، وهوسها التفريدي المستمر بوسواس قهري، فمن سمات هذه الحداثة، كما يؤكد باومان، أنها سعت الى "نزع الضوابط الحاكمة وخصخصة الواجبات والمهام التحديثية، فما كانت بالأمس مهمة يؤديها العقل البشري، بإعتباره الملكة الجمعية للبشرية والملكية الجمعية لها، قد تشرذم، اي اتخذ طابعاً فردياً، وأُسند الى امتلاك الشجاعة الفردية وقدرة الاحتمال الفردية، وتُرك لقدرة الافراد على تصريف الامور والموارد التي يُديرونها الافراد"[23].

ان التحول الخطير في الخلاص من صيغته الجماعية الى الفردية جعل الفعل السياسي يدخل في معترك صراع الوجود، ولا سيما بعد الإنفكاك المتحقق بين السلطة والسياسة، هذا الفعل الذي يجد ذاته الحقيقية في المواطن بوصفه فرداً تغلب على هويته الاهتمام بالشأن العام، أو لنقل أن المواطن، وعلى الرغم من تمتعه بدرجة من درجات الفردية، يهتم بالشأن العام، ويعتقد ان الاخير يدخل صلب أولوياته ومسؤولياته، بخلاف الفرد المجرد الذي ينغلق على ذاتيته الخاصة، وشؤونه الجزئية المنعتقة من كل قيد أو إلتزام جماعي، أي تغلب عليه الصفة الذاتية/الأنانية الموغلة في الشأن الشخصي الخاص، لذلك يؤشر باومان اننا صرنا أمام حالة صِدامية بين "الفرد" و"المواطن"، مهتدياً –أي باومان– بالقول الشهير للمفكر الفرنسي ألكسي دي توكفيل(•)

الذي يقول فيه أن "الفرد هو ألد أعداء المواطن"، وهي إشارة الى العلاقة الجدلية الكاشفة عن الإشكالية الأُسية بين الطرفين، ففي مجتمع التفريد السائل ينسحب المواطن، بل يختفي لصالح الفرد (المستهلك) الذي "يقيس حجم الزمن في حياته بكميات الاشياء التي يستهلكها، لقد انتقلنا، ضمن هذه الزمنية الجديدة، من الانسان الفرد الذي يأتي الى الفضاء العمومي يحمل قيماً وأحلاماً ورؤى الى ذات مشدودة ، الى حاجات تقتضي اشباعاً (الآن وهنا) وحدهما"[24].

هكذا نكون أمام تضاءل للمبادئ والقيم السياسية، وما يتأسس عليها ولأجلها، مع تصاعد في وتيرة الفرد المستهلك الذي غايته أكبر قدر من الاشباع اللحظي/الآني للرغبات والحاجات، فالحياة السائلة، كما يرى باومان، حياة استهلاكية تجعل من العالم بكل أحيائه وجماداته موضوعات للاستهلاك، تفقد نفعها عند استخدامها[25]، وتماشياً مع هذا تكون حياةً متمركزةً حول الاستهلاك، عليها ان تستغني عن القواعد والضوابط، وتهتدي بهدي الاغراء والرغبات المتزايدة والاماني المتقلبة على الدوام[26]، لقد تمت إذابة المُثل السياسية، وصهرها في مرجل السيولة الدائمة للحداثة السائلة، فأصبحت وجهة الافراد منحصرة بين وجهتي التسوق والاستهلاك[27]، إذ يبقى الفرد يعيش في دوامة مستمرة من هوس "الجديد"، ورغبة عارمة في استهلاكه، والانغلاق على ذاته في سباق السرعة الهائلة، فهل يمكن ان يُبقي في الوقت ذاته على مواطنيته السياسية وشؤونها العامة؟

يُجيبنا باومان بالنفي، ففي ظل الحداثة السائلة يهيمن الاستهلاك اللحظي السريع على التفكير للفرد، جاعلاً منه لا يعبئ بالمهام الجماعية، ولا المسؤوليات السياسية، مدفوعاً في الوقت عينه بضواغط العولمة السلبية التي تسير بقوة لخصخصة كل شيء، وتحويل كل ما هو عام ومشترك الى خاص وذاتي، إذ تتم إذابة كل الثوابت

الصُلبة، وجعلها تتموج في هياج سائل، أو بعبارة أخرى، حالة دائمة من السيولة، بخلاف الحداثة الصُلبة، التي مارست الاذابة المؤقتة لا الدائمة، لقد سعت الحداثة في عهدها الاول، كما يرى باومان، الى (فصل الفرد عن الجماعة) حتى (تُعيد دمجه مرة أخرى)، وبينما كان الفصل هو المصير الذي أقره المجتمع، كانت اعادة الاندماج مهمة الافراد انفسهم[28]، أي ان الفصل الذي احدثته الحداثة الصُلبة كان فصلاً مؤقتاً لإذابة الثوابت ما قبل حداثية، إن جاز التعبير ولاق، فعاد الافراد الى حالة من الاندماج المجتمعي، وأُنتج المواطن المهتم بشؤون الجماعة، في حين ان الفصل الناتج عن التفريد في ظل الحداثة السائلة أنتج "فرديةً" في مواجهة مع "المواطنية".

إن الفردَ السائل، إذا أمكننا أن نُطلق مصطلح السائل عليه تماشياً مع منهج زيغمونت باومان، فردٌ لا يهتم بالقيود التي تفرضها عليه المواطنة، إنه مواطن هشّ، تضعف عنده حاسة "الجماعية السياسية"، فرد يرغب في اللامسؤولية العامة، ويستغرق في المسؤولية الذاتية، وفي إشارة لطيفة يَعمد باومان الى ملحمة الأدويسا ليستقي منها ما ينفع في هذا السياق، إذ في نسخةٍ ألمانيةٍ منتحلة عن القصة الشهيرة التي وردت في هذه الملحمة، بعنوان (أوديسيوس والخنازير :الحضارة وأوجاعها)، يذهب الكاتب ليون فويتشفاغنر الى ان البحارة الذين سحرتهم الساحرة سيرسي، وحولتهم الى خنازير، استحبوا وضعهم الجديد ورغبوا فيه، وقاوموا بشدة رغبة أوديسيوس فكّ السحر عنهم، وإعادتهم الى هيئتهم البشرية، فعندما أخبرهم أوديسيوس بأنه وجد أعشاباً قادرة على طرد اللعنة، وأنهم سيعودون بشراً مرة أخرى، هربوا منه، وعندما تمكن من مسك أحدهم وتحويله الى بشر، هاجم أوديسيوس وأهانه، "لماذا أرجعتني بشراً أضطر الى اتخاذ القرارات الجديدة دائماً، لقد كنتُ في غاية السعادة، أتمرغ في الوحل والتراب...كنتُ متحرراً من التأمل والتردد"[29]!

هذا ما يُريد باومان أن يكشفه لنا في المواطنة الهشة، أنها مواطنة يضعف فيها البعد السياسي المهتم بالمسؤولية وأداء الواجبات، وتهدف الى تفكيك العلاقة الناظمة للأفراد بوصفهم مواطنين وتحولها الى رابطة هشّة بين أفراد يمثل كل واحد منهم عالماً خاصاً من الهوس الاستهلاكي الآني، إذ يتم الهروب من التفكير في الواجبات، والمسؤوليات، وجدليات الشأن العام، صوب الانغلاق الذاتي، والتقطيع المتواصل للنظم الحاكمة للشأن السياسي، فما قُطع بالسيف، كما يقول باومان، لا يمكن لصقه بالغراء وجمعه في وحدة مرة أخرى، وأن دخولك في الحداثة السائلة يعني أن تُعلن، كما أعلن ألان تورين(•)، عن نهاية تعريف الكائن البشري بأنه كائن اجتماعي تتحدد هويته بمكانه في المجتمع الذي يحدد سلوكه وأفعاله[30]، أي ان نهاية الكائن الاجتماعي، أو الحيوان السياسي بالتعبير الارسطي، يعني ضياع مرتكز الأسي في الفعل السياسي، وبالتأكيد يسبقه تغير جوهري في الفكر السياسي، فالإكراه الذي تمارسه الحداثة السائلة في تفريدها يدفع تجاه الضرر بالمواطنة والوطن، وكل ما يتعلق بهما من حقوق وواجبات، ووعي سياسي بحقيقة العلاقة التكاملية بين الأنا والاخر داخل الجغرافية السياسية، والانغلاق على الانا في ذاتية موغلة في فردانيتها، ويتضاءل الهم السياسي، والاهتمام بما يصيب الاخرين طالما ان الفرد يضمن أكبر قدر من المواكبة والسرعة داخل السباق الاستهلاكي المحموم، وهو سباق اشبه بالحلقة المغلقة التي لا مخرج منها، ولا نهاية لها، وهذا له علاقة كبيرة بتحولات جوهرية تصيب الدولة، بوصفها الكيان العام بأركانه المعروفة في السياسة، أي أن المواطنة الهشة ستلقي بظلالها على الدولة المعاصرة في الفكر السياسي عند زيغمونت باومان.

(المبحث الثالث)

المواطنة الهشّة والدولة المعاصرة

أولاً: المواطنة الهشّة وتحولات الدول الحارسة:

ربما يمكن القول ان المواطنة الهشّة لها تأثير كبير على مختلف المؤسسات والبناءات السياسية، وليس فقط في بعض التفاصيل او التضاعيف الجزئية هنا وهناك، ويقف على رأس هذه البناءات السياسية "الدولة"، الامر الذي جعل الفهم التقليدي للدولة في الفكر السياسي الليبرالي، والمتقوم على أساس ان تلعب الدولة دور الحارس الناظم للفعاليات السياسية بشكل لا يتدخل في مختلف التفاصيل، ولا يقحم نفسه في كل حيثيات السياسة وقضاياها، جعله –اي الفهم الليبرالي للدولة– يتحول في سياق هشّ وضعيف، ربما لا نبالغ اذا ما اشرنا الى انه دخل في مرحلة التآكل الوظيفي للدولة[31].

عندما قامت المواطنة الهشّة بأضعاف الفاعلية السياسية للمواطن بوصفه جزءاً من المدينة السياسية، أثّر ذلك في المجتمع السياسي المتقوم بأسس حالة التضامنية الجماعية، فالفردية المتوحشة داخل المجتمع السائل تعبر عن أحادية لا تقر كثيراً بالفضاء الجماعي/العام، وأجترحت المجتمع السياسي الذي تأسس وفقاً لأدبيات تنظيم الشأن العام، وقد كانت المواطنة الهشّة، كما يرى باومان، نتاجاً طبيعياً لتحويل الصلاحيات والمهام والمسؤوليات من الدولة الى الأفراد، وقبل ذلك قامت بفعل خطير تمثل في تقطيع أواصر العلاقات الاجتماعية، وتحويلها الى روابط هشّة غير قادرة على الصمود أمام تحديات الحياة الاجتماعية والسياسية، فعلى مستوى العلاقات الاجتماعية يرى باومان ان المجتمع تحول إلى "مجتمع الافراد"، وهو المجتمع الذي تهيمن فيه الفردية والأحادية على كل ما سواها بشكل شرس، ومتوحش، تكون فيه العلاقات مندرجة فيما يُطلق عليه بـــ"علاقات الجيب العلوي"، وهي أشارة الى انها علاقات يمكن التخلص منها بسهولة كبيرة، كأي شيء يضعه المرء في جيبه العلوي،

إذ تفقد العلاقات قوتها الذاتية، وقدرتها على التماسك والتراصّ الاجتماعي، ومن ثم تكون هشّة وضعيفة[32]، ولأنها تتسم بهذه السمات فهي علاقات يمكن الحصول عليها بسهولة، إذ يفتخر أحد مستخدمي الفيسبوك النشطين، كما ينقل لنا باومان، بأنه "حصل على 500 صديق في يوم واحد، وهذا يفوق ما استطعت أنا ان افعله طيلة حياتي منذ ان ولدت عام 1025م!"[33]، هذه السرعة في كسب الاصدقاء تعني في الوقت عينه سرعةً في فقدهم، فهي لا تملك القدرة على المداومة في العالم الافتراضي، بل وفي العالم الواقعي كما يؤكد باومان، فلم يعد الزواج كما كان، ولا الصداقة، ولا اية علاقة كما كانت في عهدها السابق، حتى ان الهواتف المحمولة جعلت الجلسات بين الاصدقاء، على سبيل المثال، جلسات دون اية كلمة، وانما كل واحد منهم منشغل في هاتفه الشخصي، وعالمه الخاص به[34].

إن ضعف العلاقات الاجتماعية، وتآكلها، وتحولها الى روابط هشّة، ولا سيما تلك التي يفترض ان تكون قائمة على أسس متينة كالزواج والصداقة وغيرهما، إنعكس على العلاقة السياسية، فالسيولة أعترت كل العلاقات والنظم الاجتماعية والسياسية، ولم تكن المواطنة الهشّة الا امتداداً طبيعياً للهشاشة التي طغت كل شيء في المجتمع الغربي المعاصر، فضَعُف الموشّج السياسي بين المواطنين، وانفكاك الاواصر السياسية، اخذت بالضعف التدريجي الخطير، حتى اضحت الدولة الحارسة، غربياً، تتحول منتقلةً الى مساحة أخرى غير التي عهدناها عندها في السابق، إذ تمت خصخصة الوظائف الخاصة بالدولة الحارسة، وتحويل مسؤولياتها الى الافراد انفسهم، وصرنا أمام تفكيك متزايد للدفاعات التي شيدتها الدولة، ومن ثم اصبح الفرد هو المسؤول وحده عن البحث عن حلول فردية لمشكلات اجتماعية[35]، فالفرد هو المسؤول عن البحث عن حماية نفسه، في حين ان الدولة أقامت علّة وجودها، كما

يؤكد باومان، وحقها في امتثال المواطنين لها على الوعد بحماية رعاياها من الاخطار التي تهدد وجودهم، ولكنها لم تعد قادرة على الوفاء بوعدها، أو لم تعد قادرة على تحمل المسؤولية من أجل اعادة تأكيد الالتزام بهذا الوعد في ظل هيمنة الاسواق التي تتبع العولمة بوتيرة سريعة[36]، والمفارقة الجوهرية في هذا السياق، ان تخلي الدولة الحارسة عن أهم وظائفها، ومصدر وجودها التأسيسي إن جاز التعبير ولاق، جاء في الوقت الذي ارتفع فيه منسوب الخوف عند الافراد، وربما يكون هذا الارتفاع نتيجة طبيعية لتخلي الدولة عن مسؤولية الحماية هذه، مضافاً الى ذلك التحولات الخطيرة التي شهدها المجتمع الغربي في تفكك العلاقات وغياب الامن الاجتماعي جراء هشاشة الروابط الاجتماعية من جهة، والاستعاضة بعلاقات الجيب العلوي، وعلاقات العالم الافتراضي التي لا تعطي للفرد طمأنينة حقيقية بخلاف العلاقات الواقعية الصادقة.

ان عملية الخصخصة لكل شيء، ألقت على عاتق الفرد/المواطن الهشّ مسؤولية إيجاد الحلول وصياغة النماذج، كذلك مسؤولية الفشل نفسه[37]، وراحت الدولة الحارسة تنسحب عن مسؤوليتها تدريجياً، وزادت من مناسيب المخاوف والهموم والشكاوى المعاصرة تتجمع على عاتق المرء بمفرده[38]، إذ لا خلاص جماعي بعد الان في ظل الحداثة السائلة ومواطنتها الهشّة، وبما ان الفرد لا يعي طبيعة ايجاد الميكانزمات الحقيقية لإحلال الامن، والقضاء على الخوف، بعد ان تركته الدولة يواجه مصيره بنفسه، راح يواجه حالة الخوف عادةً باستراتيجيات نفسية، من أهمها "الاستغراق في اللحظة الراهنة، وما السلوك الاستهلاكي والتمحور حول اللذة اللحظية الا نتيجة لخوف حقيقي من فقدان كل شيء ومواجهة المجهول، فالعيش على الاقتراض في النظام الرأسمالي الربوي الذي يعدك بالمستقبل الان وهنا، ويعطيك المال اللازم لذلك بأجل وفائدة، يختلف عن منطق الاخلاق البروتستانتية الذي بدأت به الرسمالية من خلال الادخار، فالاقتراض تعبير عن حالة خوف من عدم التحقق، والرغبة في

الاقتناص قبل الاوان واستباقها، في حين كان الادخار ثقة وأملاً في ان من يسعى سيصل"[39]، بعبارة اخرى، قام الافراد بمواجهة الخوف الذي اعتراهم نتيجة انسحاب الدولة عن أُسّ مهامها بإيجاد حلول انية/لحظية اسهمت وتسهم في الولوج أكثر في مستنقع الخوف السائل.

ولأن المواطنة تتطلب وصالاً حقيقياً بين المواطنين، وهذا هو الشرط الطبيعي لها منذ اجتماع الناس في دولة المدينة The City State اليونانية وحتى الان، فان عدم التواصل والتفاعل الحقيقي الذي صنعته الحداثة السائلة، أسسّ لحالة من الخوف والارتياب في تأسيس التفاعل اللازم لتحقق المواطنة، وشرطها التطبيقي على ارض الواقع، ومن ثم سادت حالة من "فوبيا الاختلاط" التي هي رد فعل متوقع ومنتشر للغاية، كما يرى باومان، على التنوع المذهل المخيف المزعج لأنماط واساليب الحياة البشرية المختلطة في شوارع المدن المعاصرة[40]، وهذا بدوره له علاقة وثيقة بتحولات المدينة المعاصرة ذات المواطنة الهشة وتحولات الدولة الحارسة، فهي مدينة تكشف عن "مستوطنة بشرية يلتقي فيها الغرباء"[41]، وطالما ان المدينة لم تعد تجمع المواطنين الفاعلين بقدر ما تضم أفراداً غرباء، أضفت فوبيا الاختلاط مزيداً من اجراءات الدفاع المخصخصة، إن جاز التعبير ولاق، كالمدن المنعزلة والمحصنة ذات الاسوار العالية، والمليئة بكاميرات المراقبة، ورواج سوق السيارات المصفحة التي تحمي راكبها من المخاطر، بل أن الترويج الدعائي للمدن الجديدة المحصنة، والذي يغري الناس للسكن فيها، يكمن في ان الاخرين غير قادرين على الدخول اليها، وان الحياة فيها يجعلك بعيداً عن الاخرين، إنها حالة العيش مع الغرباء، ولأنهم غرباء فإن "العيش المشترك معهم تزداد صعوبته يوماً بعد آخر"[42].

لقد استفحل التحول في الدولة الحارسة واصلاً الى تغيير البوصلة وتوجيهاتها المعتادة، فعلى سبيل المثال، كان السخط سابقاً يوجه ضد الحكومة وسياساتها لدفعها الى تعديل الاعوجاج في هذه السياسات، وبعبارة أخرى، كان السخط والاحتجاجات في يوم من الأيام، أسلحة قوية للفعل السياسي الجمعي، وتوكيد الذات والتغيير، أما الان فقد جرى تدويرها وتحويلها الى المواد الاساسية التي تسهل دوران عجلة الاقتصاد الاستهلاكي[43]، وهذا يتعلق بالفرد المستهلك الذي حلّ محل المواطن، من وجهة نظر باومان، فالأول يقيس حجم الزمن في حياته بكميات الاشياء التي يستهلكها، بخلاف الثاني الذي يهتم بـ"الفضاء العام" الذي هو المجال الحقيقي للمواطنة الفاعلة، اي ان هذهِ الزمنية الجديدة انتقلنا خلالها من الانسان الذي يأتي الى الفضاء العام يحمل قيماً وأحلاماً ورؤى، ذات مشدودة الى حاجات تقتضي إشباعاً "الآن وهنا" وحدهما[44].

وهكذا فإن الفضاء العام، حسب تعبير باومان، يستعمره الفضاء الخاص، والمصلحة العامة تُختزل في الرغبة في معرفة الحياة الخاصة للشخصيات العامة[45]، اي لم يعد الافراد مهتمين بالشأن العام الا ما يتعلق بأخبار المشاهير وخصوصياتهم، وهو اهتمام في مرجعيته الاخيرة يعود الى الفضاء أو الشأن الخاص لا العام، وهذا التراجع الخطير في المواطنة، وحالة الهشاشة التي تعتريها، ألقت بظلالها على الدولة الحارسة في قضية "الشرعية" من وجهة نظر باومان، بعد ما حصل من تحولات فيها، إذ ان "الديمقراطية عرضة للخطر؛ لان الافراد عاجزون عن ترجمة تعاستهم الفردية التي يعانونها الى اهتمامات عامة مشتركة وافعال جمعية"[46]، فالتحول من الشأن العام الى الخاص، أو من الفضاء العام الى الفضاء الخاص، قلب الاولويات والاهتمامات، وقلب المعادلة رأساً على عقب، حتى أن النظرية النقدية، التي ينتسب اليها باومان، تغيرت أولوياتها، يقول باومان "لقد انقلبت الطاولة، إذا جاز التعبير، وانعكست مهمة النظرية النقدية، فقد تمثلت تلك المهمة في الدفاع عن الاستقلال الخاص عن الجيوش

الزاحفة التي يمتلكها (الفضاء العام)، ذلك الاستقلال الخاص الذي يعاني الحكم القمعي للدولة المهيمنة واجهزتها البيروقراطية أو ما شابهها، أما المهمة اليوم فتتمثل في الدفاع عن المجال العام المتلاشي، او بالأحرى في اعادة تعمير المجال العام الذي صار يخلو من السكان"[47].

إذن هي معادلة معكوسة، فاذا كان السعي سابقاً الى تقليل هيمنة الدولة وأجهزتها وتدخلاتها في الشأن أو الفضاء الخاص، صار الاشتغال الاساسي لاعادة احياء الشأن العام بعد ان ضعُفَ وتآكلَ بفعل المواطنة الهشة المندفعة بقوة في فردية الحداثة السائلة وارهاصاتها، وبدلاً من مطالبة الدولة بخطوط صدّ لعدم التدخل المستمر، تتم المطالبة الان بتدخل للحماية بعد الانسحاب المستمر حتى عن مسؤوليتها الاساس في السياسي الليبرالي والمتمثل بالدولة الحارسة.

ثانياً: المواطنة الهشّة وبوتوبيا أهل الصيّد:

كما لعبت المواطنة الهشّة دوراً كبيراً في إضعاف المجتمع السياسي، فإنها كذلك مارست ضغطاً فاعلاً على مجمل الفعل السياسي للدولة، إذ ان هيمنة التفريد التي جعلت من الفرد ينزع نزوعاً عدوانياً تجاه المواطن، بالإضافة الى بروز الصبغة الاستهلاكية في تفاصيل الحياة السائلة وتضاعفيها، ألقت بظلالها في التأسيس لحالة اللامبالاة السياسية التي يشخصها زيغمونت باومان، حتى صرنا نشهد التحولات المتتالية في جوهر السياسة ومؤسساتها، وطالما ان السياسة الديمقراطية لا يمكنها ان تعيش في ظل سلبية المواطن الناجمة عن الجهل السياسي واللامبالاة[48]، عندها ستصبح الديمقراطية الليبرالية عرضة للخطر؛ لان الافراد عاجزون عن ترجمة تعاستهم الفردية التي يعانونها الى اهتمامات عامة مشتركة وأفعال جمعية[49]، هذا الغياب للادراك السياسي الحقيقي، وضياع البوصلة، أو لنقل انجرافها ضمن كل القضايا التي

جرفها سيل الحداثة السائلة ووسواسها القهري المتواصل، أسهم في تحويل الوجهة السياسية الحقيقية التي يفترض بالمواطنة الفاعلة ان تتجه صوبها الى مسار مختلف، مسارٌ لا يهتدي الى نهاية منشودة، أو مُثُل عليا تمثل الطموح النهائي للاجتماع السياسي للبشر، وهنا نكون أمام إجتراح خطير لليوتوبيا بوصفها الانموذج السامي الذي يسعى المجتمع السياسي الى الوصول اليه، أو لنقل تحقيق جزء كبير من مقترباته واشتراطاته، وهذا ما له علاقة وثيقة بالمواطنة الهشّة التي تدخلت في إضعاف تصورات الوجهة السياسية للمجتمع والدولة، لكن السؤال الاساس في هذا السياق يتمثل في الكيفية التي أسهمت بها الحداثة السائلة ومواطنتها الهشّة في التأثير في التصور اليوتوبي للدولة الديمقراطية المعاصرة؟

يرى باومان ان الحداثة السائلة أفرزت مجموعة من التحولات التي وسمت المجتمع الغربي المعاصر، وإذا كانت السمة الأولى تتمثل نزع الضوابط الحاكمة وخصخصة الواجبات والمهام التحديثية، ونقل كل ما كانت تقوم به الدولة الى الافراد، وجعلهم يقومون بأدوارهم، ويتحملون مصائرهم لوحدهم، فإن السمة الثانية، وهي الأكثر أهمية هنا، تتمثل في الانهيار التدريجي والتدهور السريع للوهم الذي اتسم به صدر الحداثة، اي الحداثة الصُلبة، اي انهيار الايمان بأن ثمة نهاية للطريق الذي نسير فيه، وغاية كبرى للتغير التاريخي يمكن تحقيقها، وبعبارة أخرى، كان هناك ايمان بوجود محطة أخيرة للوصول الى نظام مثالي يجد كل شيء في مكانه الصحيح[50]، اي ان الفكرة التي لطالما هيمنت على الفكر والفعل السياسيين بأمكانية الوصول الى الدولة المثالية/اليوتوبيا قابلة التحقيق في نهاية التأريخ الانساني، لم يعد لها وجود في ظل هذه التحولات الجوهرية، وكيما نتمكن من تفهم الثيمة الأساس لما يريده باومان، نحتاج الى بيان المقاربة الثلاثية لليوتوبيا التي قدمها فيما يتعلق بالطريق اللانهائي، او لا نهاية الطريق.

بعد ان يوضح باومان ما قدمه توماس مور(•) في كتابه اليوتوبيا الذي كان حلماً غير قابل للتحقق في إطار حياة سعيدة خالية من فقدان الامن والمخاوف الجامحة، ذهب الى ان اليوتوبيا في مرحلة لاحقة صارت طموحاً للمفكرين السياسيين الباحثين عن مجتمع اليوتوبيا، وأن الحياة من دون يوتوبيا ليست جديرة بالعيش(51)، الأمر الذي يعني ان مصطلح اليوتوبيا شهد تحولاً فكرياً سياسياً، من اللامكان، أو الحلم غير القابل للتحقيق، الى المجتمع المثالي، أو الدولة المثالية التي يمكن الوصول اليها عبر ترسيم معالمها الفكرية السياسية، ومن ثم السعي الى تحقيقها بوصفها نهاية التاريخ السعيدة للمواطنين الفاعلين.

ثم يُقسم باومان اليوتوبيا حسب التحقيب الثلاثي لمراحل ما قبل الحداثة، والحداثة، ما بعد الحداثة، وفقاً للتوضيح الاتي:

أولاً: مرحلة ما قبل الحداثة/ يوتوبيا حراس الصيد: تتمثل المهمة الاساسية لحراس الصيد في الدفاع عن الارض المطلوب حراستها ضد كافة اشكال التدخل البشري، من أجل الدفاع عن توازنها الطبيعي والحفاظ عليه، باعتباره تجسيداً لحكمة الله أو الطبيعة، ويقوم دور حراس الصيد على الاعتقاد بأن الاشياء تكون في افضل حالها اذا تُركت على حالها، وكان ذلك الدور في الزمن ما قبل الحداثي يقوم على الاعتقاد بان العالم سلسلة وجود ربانية يجد فيها كل مخلوق مكانه الحق النافع(52)، إذ تسيطر على هذه المرحلة الرؤية الغيبية بصيغتها اللاعقلانية، والتي تُغيّب دور الفاعلية الانسانية، وتُحيل في الوقت ذاته كل المقررات الى الرؤية الغيبية، ومن ثم يكمن الدور المحوري لهذه اليوتوبيا في أُسية الحراسة، لا أكثر ولا أقل، أنه دور ثانوي يهدف الى حراسة يوتوبيا لم يصنعها البشر، وانما يحرسونها بعبر اضفاء سمات القداسة عليها، وعلى ما قامت به هذه اليوتوبيا من إحالة بناء اليوتوبيا والمثال السياسي السعيد الى جانب لا بشري، فإن

أهل هذه المرحلة كانوا يؤمنون بنهاية الطريق، وان الدولة المثالية السعيدة يمكن الوصول اليها وتحقيقها كلما بذلنا جهداً أكبر في حراسة الصيد والانجاز الذي حققه الاخرون.

ثانياً: مرحلة الحداثة الصُلبة/يوتوبيا أهل البستنة: إذا كانت اليوتوبيا ما قبل حداثية أغفلت الدور الانساني، والأداء السياسي للمجتمع مقابل الافراط في إحالة الدور الى الجانب الغيبي أو الطبيعي، فإن يوتوبيا مرحلة الحداثة الصُلبة فعّلت الجانب السياسي للمجتمع في تحقيقها، وأسهمت في التقليل من منسوب التدخل الغيبي أو الطبيعي في الوصول الى النهاية السعيدة للطريق، أو لنقل تحقيق الدولة المثالية في نهاية التاريخ، أي أن "البستاني يفترض انه لن يوجد نظام في العالم البتة لولا جهده ورعايته الدائمة، فالبستاني اكثر دراية بنوع النباتات التي ينبغي ان تنمو في الارض التي يتعهدها، ونوع النباتات التي لا ينبغي ان تنمو هناك، والبستاني يخطط التنظيم المرغوب في راسه اولاً، ثم يتأكد ان الصورة التي رسمها في ذهنه تصير واقعاً في الارض التي يتعهدها"[53]، وكأن باومان يريد ان يوصلنا الى فكرة ان هذه اليوتوبيا لم تكتف بالقول بوجود نهاية سعيدة للطريق يمكن الوصول اليها فحسب، وإنما بلغت اليقين في ان هذه النهاية يخطط لها ويطبقها اهل البستنة أنفسهم، ومن ثم نكون أمام حالة اليقين التام الذي بلغته الحداثة الصُلبة، وايمانها المطلق بالإنسان وقدرته على الوصول الى نهاية الطريق السعيدة التي خطط لها وزرعها بنفسه.

ثالثاً: مرحلة الحداثة السائلة/ يوتوبيا أهل الصيد: في هذه المرحلة الاخيرة التي يعيشها المجتمع الغربي المعاصر في ظل الحداثة السائلة التي أذابت كل المنظومات والقيم والاشياء، يختلف الدور السياسي لأهل الصيد في مسارهم صوب إنجاز اليوتوبيا المنشودة الخاصة بهم، إنهم "لا يهتمون بتوازن الاشياء، سواء أكان توزاناُ طبيعياً أم مرسوماً، فالمهمة الوحيدة التي يبتغيها أهل الصيد هي فرائس جديدة، وكبيرة بما يكفي

لملأ حقائب الصيد عن آخرها"[54]، اذ يكون الشغل الشاغل لأهل الصيد المداومة في عملية الصيد، والافتراس المحموم الذي لا يعرف نهاية الطريق، اي هو النهم الاستهلاكي، والبحث الدائب عن كل جديد، والرغبة الجامحة في التغيير والتبديل، وهي ارهاصات الحداثة السائلة، بما جعلنا صيادين في هذا الزمن، او يُحكم علينا بان نكون صيادين، أو نُدعى لنفعل مثلما يفعل الصيادون، أو نُرغم على ذلك، وإلا واجهنا مصير الخروج من سباق الصيد إن لم نتحول الى أنفسنا الى صيدٍ للصائدين[55].

وبما ان عملية الصيد في طابعها عملية مستمرة ومتواصلة، وكلما أمسك الصيادون بفريسةٍ بحثوا عن الاحدث منها والأجدد، لم يعد هناك امكان للحديث عن نهاية الطريق، او السعادة المنشودة للدولة المثالية في نهاية الطريق، فهي يوتوبيا اللاطريق، او للانهاية، على اعتبار ان النهايات تتماشى مع الايمان بغايات يمكن الوصول اليها، والاقرار بيقينية المصائر والمآلات القابلة للتحقيق، بينما في ظل هذه اليوتوبيا يُخبرنا باومان أنها أجرت تحولاً جوهرياً في المعادلة، لأنها يوتوبيا غريبة وغير معهودة، لكنها مع ذلك كله تَعِد بالجائزة البعيدة المنال نفسها التي تلوح بها اليوتوبيات جميعها، إنها تَعِد بحل نهائي جذري للمشكلات البشرية في الماضي والحاضر والمستقبل، وبعلاج نهائي وجذري لأحزان الوضع الانساني واوجاعه، إنها يوتوبيا غير معهودة بالأساس، لانها قد نقلت أرض الحلول والعلاجات من "بعيد" الى "هنا والآن"، بعبارة أخرى، كانت اليوتوبيا من منظور أهل البستنة هي نهاية الطريق، وأما أهل الصيد فوجدوا أنها الطريق نفسه[56]!

إذ يطمح أهل هذه اليوتوبيا الى جعل الوسيلة غاية، وأن الطريق فَقد ذاتيته الموصلية الى غايات أخُر، وصار غايةً في حد نفسه، بما حوّل الوعود التي قطعتها

هذه المرحلة من إيجاد العلاجات للأحزان والاوجاع الى مزيد من المآسي والتحديات التي عصفت وتعصف بالمجتمع الغربي المعاصر.

ويعتقد باومان ان المواطنة الفاعلة التي يفترض ان تسيّر الأداء السياسي للجماعة فقدت قدرتها في ظل هذه اليوتوبيا التي ألغت المآلات والنهايات، هذه النهاية التي أوصدت الباب بوجه احد الاهداف الرئيسة التي تطمح لها المواطنة في جمع الناس وصهرهم ضمن بوتقة الشأن العام والاهتمام به، والمشتركات التي تضمن الايمان بوجود مستقبل منشود يمكن الوصول اليه وتحقيقه في القادم، وليس الان وهنا عبر دوامة الاستهلاك والتفريد المستمريّن.

من هنا يمكن طرح السؤال الاتي: في خضم مرحلة أهل الصيد، وهوّس البدايات المتواصلة، وهذه اليوتوبيا وطريقها اللانهائي، ما هي معالم المخرج من هذا الانسداد الحرج؟ ربما يمكن القول أن الاجابة على السؤال في جنبته السياسية ترتبط بشكل وثيق بالمواطنة، واعادة تنشيطها، اذ لعبت النزعة التفريدية، إن جاز التعبير ولاق، في تآكل المواطنة وتفككها البطئ[57]، بما جعلها هشّة غير قادرة على إعادة تدوير البوصلة السياسية، وتوجيه المجتمع السياسي الى وجهته الحقيقية، إذ صارت المواطنة، حسب تعبير باومان، في عيون كثير من الناس مجرد فعل من أفعال شراء السلع وبيعها[58]، مما يعني الحاجة الملحة الى اعادة تأكيد ما للمواطنة من أهمية في الحفاظ على المجتمع السياسي، ومن ثم الدولة، لان اضعاف المواطنة أسهم في القضاء على الشأن العام، او الفضاء العام، بشكل عرّض الديمقراطية الى الخطر[59]، هذا السبب وغيره يجعل الحضارة الغربية في مجملها واهنة، كما يرى باومان، "لا يفصل بينها وبين الجحيم سوى صدمة واحدة"[60].

وهذا ما يدفع الى ضرورة تأكيد أهمية المواطنة، وجعلها تتعافى من الهشاشة التي اعترتها في ظل الحداثة السائلة، واعادة دفع الفرد نحو الجماعة إنطلاقاً من تقوية

مهارات التفاعل مع الاخرين حتى يعوض ذلك الخذلان الفردي الكبير الذي ينتج عن الاطاحة بالماضي وتكريس اللحظة الراهنة[61]، بالإضافة الى نفخ القيم الاخلاقية ودورها الحيوي في إيجاد عالم انساني يضمن فرصة العيش المشترك[62]، وبعبارة مختصرة، يمكن الحل في المواطنة الفاعلة في مجتمعٍ يحظى بقيمة عليا للمُثل الاخلاقية.

الخاتمة:

تم السعي خلال هذا البحث الى تقديم مقاربة فكرية سياسية للمواطنة التي نظّر لها زيغمونت باومان بعدّها أحد أبرز ارهاصات الحداثة السائلة، فالأخيرة سعت عبر ميكانزم الاذابة المتواصلة المنطلقة بخاصية الوسواس القهري للتحديث والتغيير، الى إضعاف وتغيير شكل الوشائج والبناءات السياسية التي تمثل رابطاً لأفراد المجتمع السياسي، الامر الذي قاد الى تحول جوهري في المواطنة داخل الدول الغربية المعاصرة، جاعلةً منها مواطنة هشّة، وضعيفة، في سياق عملية تحول جذري في هوية الدولة، وخصخصة المسؤوليات والوظائف والمهام، وترك الافراد يواجهون مصيرهم بأنفسهم في حالة من التعرية السياسية بعد أن تخلت الدولة الحارسة في الحيز الليبرالي عن مهامها الرئيسة، بعد حصول انفكاك بين السلطة والسياسة بفعل الضغط المتوالي الذي فرضته العولمة السلبية.

الهوامش:

(*) زيغمونت باومان، مفكر بولندي–بريطاني، ولد عام 1925م، في مدينة بوزنان البولندية، هاجر مع عائلته الى الاتحاد السوفيتي خلال الحرب العالمية الثانية، وشارك في الحرب ضد النازية، ومُنح وسام الشجاعة على اثرها من الجيش البولندي، ثم اصبح استاذاً لعلم الاجتماع في جامعة وارسو الى ان تم طرده منها عام 1968م، انتقل بعدها الى تل ابيب وأماكن اخرى الى ان استقر بعدها في بريطانيا عام 1971م، وعلى الرغم من جذور باومان اليهودية الا انه كان من أشد المعارضين للصهيونية، بل عدّه اليهود من المعادين للسامية، وكان باومان قد شبّه الجدار الذي تضعه اسرائيل في الضفة الغربية بالجدار الذي وضعته النازية، وانها تستخدم الهولوكوست كذريعة لشرعنة افعالها الوحشية، توفي باومان عام 2017م، تاركاً عدداً كبيراً من المؤلفات، من اهمها "الحداثة الهولوكوست" وسلسلة السيولة المتكونة من ثمانية كتب "الحداثة السائلة" و "الحب السائل" و"الحياة السائلة" و" الأزمنة السائلة" و"الثقافة السائلة" و"الشر السائل" و"المراقبة السائلة" و"الخوف السائل"، يُنظر: يوسف العلوي، زيغمونت باومان، سيرة مختصرة، ط1 2022م، مركز المروءة للدراسات والتخطيط، د.م، ص 25.

(1) زيغمونت باومان، الحداثة السائلة، ترجمة: حجاج ابو جبر، ط1 2016م، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ص26.

(2) زيغمونت باومان، الثقافة السائلة، ترجمة: حجاج اب جبر، ط1 2018م، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ص19.

(3) زيغمونت باومان، الحادثة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص42.

(•) يسعى باومان الى إضفاء طابع جدلي/ديالكتيكي بسياق هيغلي، إذ يعتبر أن العلاقة بين الحداثة الصلبة والحداثة السائلة ناجمة عن التفاعلات الجدلية، فالسائلة هي "التركيب" الناتج عن جدلية "الاطروحة" و"الطباق".

(4) زيغمونت باومان، الحياة السائلة، ترجمة: حجاج ابو جبر، ط1 2016م، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت،

(5) زيغمونت باومان، الحداثة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص131.

(6) حجاج خليل وعفاف جدراوي، الانسان السائل: نحو انطولوجية رقمية سائلة عند زيغمونت باومان، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، العدد (1) 2020م، الجزائر، ص3.

(7) زيغمونت باومان وليونيداس دونسكيس، الشر السائل، العيش مع اللابديل، ترجمة حجاج ابو جبر، ط1 2018م، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ص167.

[8] زيغمونت باومان وديفيد ليون، المراقبة السائلة، ترجمة: حجاج ابة جبر، ط1 2017م، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ص53.

[9] زيغمونت باومان، الحداثة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص234.

[10] المصدر السباق/ ص131.

[11] زيغمونت باومان، الحداثة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص 33.

[12] زيغمونت باومان، الأزمنة السائلة، العيش في زمن اللايقين، ترجمة: حجاج ابو جبر، ط1 2017م، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ص25.

[13] John Adams, The Liquid Modernity and the Politics according to Zygmunt Pauman, 1st Edition, RNGD Corporation, H.Solmon, Londod,2000, p35.

[14] زيغمونت باومان، الأزمنة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص47.

[15] المصدر السابق، ص 48.

[16] زيغمونت باومان، الحداثة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص77.

[17] المصدر السابق والصفحة.

[18] David Walter , The Human Science , A theatrical Study, 1st Edition, The Center of Contemporary Dialogue- New Jersey, U.S.A 2012

[19] Karl Skyman,, The Individuality and state, 1st Edition, Anal T,I University Press, U.S.A 2010, p18.

[20] زيغمونت باومان، الحداثة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص77.

[21] زيغمونت باومان، الحداثة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص116.

[22] نقلاً عن: المصدر السابق، ص117.

[23] المصدر السابق، ص75.

[•] الكسي دي توكفيل مفكر فرنسي (1805-1859م) مؤرخ ومفكر وسياسي فرنسي، وأهتم بالدراسة المقارنة في تطبيقات الديمقراطية، أُعجب بالديمقراطية في الولايات المتحدة الامريكية، ولُقبَ بمونتسكيو القرن التاسع عشر لأعجابه بالنظام السياسي الامريكي، في مقابل الاعجاب الذي ابداه

مونتسكيو بالنظام السياسي في بريطانيا، ترك دي توكفيل مجموعة من المؤلفات من ابرزها "حول الديمقراطية في امريكا" و"النظام القديم والثورة"، للتوسع يُنظر: هارفي سي مانسفيلد، توكفيل، مقدمة قصيرة جداً، ترجمة: مصطفى محمد فؤاد، ط1 2016م، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ص15 وما بعدها.

(24) يُنظر المقدمة التي كتبها سعيد بنكَراد لكتاب: إلزا غودار، أنا أُسيلفي إذن أنا موجود، تحولات الأنا في العصر الافتراضي، ترجمة: سعيد بنكَراد، ط1 2019م، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، ص21.

(25) زيغمونت باومان، الحياة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص30.

(26) زيغمونت باومان، الحداثة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص131.

(27) علي حميد موزان، نقد الحداثة في الفكر السياسي الغربي المعاصر، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية –جامعة بغداد، 1440هـ/2019م، ص203.

(28) زيغمونت باومان، الحداثة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص78.

(29) المصدر السابق، ص61–62.

(•) ألان تورين (1925–2023م) مفكر سياسي وعالم اجتماع فرنسي، أشتهر بالتنظير وتطوير مفهوم (المجتمع ما بعد الصناعي) وتقديم نقد وتحليل خاص للحداثة، ترك مجموعة من المؤلفات من أهمها: "نقد الحداثة" و"برداىم جديد: من اجل فهم عالم اليوم"، للتوسع يُنظر: محمد حسين الحسيني، دراسات في نقد الحداثة، ط1 2020م، د.ن، بيروت، ص25.

(30) زيغمونت باومان، الحداثة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص66.

(31) David William, State and Democracy in Western World, 1st Edition, Lodvage Printing Home, London.2016,p74

.

(32) زيغمونت باومان، الحب السائل، عن هشاشة الروابط الانسانية، ترجمة: حجاج ابو جبر، ط1 2016م، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ص 56.

(33) زيغمونت باومان، المراقبة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص59.

(34) زيغمونت باومان، الحداثة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص222–223.

(35) زيغمونت باومان، الازمنة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص37.

(36) زيغمونت باومان، الخوف السائل، ترجمة: حجاج ابو جبر، ط1 2017م، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ص26.

(37) زيغمونت باومان، الحداثة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص49.

(38) المصدر السابق، ص216.

(39) يُنظر المقدمة التي كتبتها هبة رءوف عزت لكتاب: زيغمونت باومان، الحياة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص12.

(40) زيغمونت باومان، الحب السائل، مصدر سبق ذكره، ص153-154.

(41) Richard Sennett, The Fall of Public Man,p39

نقلا عن: زيغمونت باومان، الحداثة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص153.

(42) زيغمونت باومان، الحب السائل، مصدر سبق ذكره، ص156.

(43) زيغمونت باومان، الشر السائل، مصدر سبق ذكره، ص89.

(44) سعيد بنكَراد، مصدر سبق ذكره، ص21.

(45) زيغمونت باومان، الحداثة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص84.

(46) زيغمونت باومان، الحياة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص67.

(47) زيغمونت باومان، الحداثة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص86.

(48) زيغمونت باومان، الحياة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص168.

(49) المصدر السابق، ص167.

(50) زيغمونت باومان، الحداثة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص74-75.

(•) توماس مور (1478-1535م) كاتب ومفكر سياسي انكليزي، تسلم عدة مناصب حكومية، يعد أحد منظري الاشتراكية الخيالية، ترك عدداً من المؤلفات، أهمهما كتابه ذائع الصيت "يوتوبيا" الذي عمد خلاله الى انتقاد الاوضاع السياسية في انكلترا من خلال تصويره لحياة سياسية في جزيرة بنظام سياسي مثالي يعيش فيه المواطنون بسعادة واستقرار وتعاون، للتوسع يُنظر: حسين العولي، تأريخ أوربا وتحولات السلطة، ط2 2014م، نشر قيام للطبع والتوزيع، د.م، ص126.

(51) زيغمونت باومان، الازمنة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص110-111.

(52) المصدر السابق، ص113.

(53) المصدر السابق والصفحة.

(54) المصدر السباق، ص114.

(55) المصدر السابق، ص115.

(56) المصدر السابق، ص121-122.

(57) زيغمونت باومان، الحداثة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص83-84.

(58) زيغمونت باومان، الحياة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص168.

(59) المصدر السابق، ص167.

(60) زيغمونت باومان، الخوف السائل، مصدر سبق ذكره، ص42

(61) علي حميد موزان، مصدر سبق ذكره، ص205.

(62) عفاف جدراوي وعبد الغاني بولسكك، الأخلاق كأفق لعالم الحداثة السائلة: زيغمونت باومان قارئا لإيمانويل لفيناس، مجلة المقدمة للدراسات الانسانية والاجتماعية، عدد 2 2022م، الجزائر، ص28.

المصادر:

أولاً: الكتب العربية والمترجمة:

1- إلزا غودار، أنا أُسيلفي إذن أنا موجود، تحولات الأنا في العصر الافتراضي، ترجمة: سعيد بنكَراد، ط1 2019م، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء.

2- حسين العولي، تأريخ أوربا وتحولات السلطة، ط2 2014م، نشر قيام للطبع والتوزيع، د.م.

3- زيغمونت باومان، الأزمنة السائلة، العيش في زمن اللايقين، ترجمة: حجاج ابو جبر، ط1 2017م، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.

4- ـــــــــــــ، الحب السائل، عن هشاشة الروابط الانسانية، ترجمة: حجاج ابو جبر، ط1 2016م، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.

5- ـــــــــــــ، الحياة السائلة، ترجمة: حجاج ابو جبر، ط1 2016م، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.

6- ـــــــــــــ، الحداثة السائلة، ترجمة: حجاج ابو جبر، ط1 2016م، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.

7- ـــــــــــــ، الخوف السائل، ترجمة: حجاج ابو جبر، ط1 2017م، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.
8- ـــــــــــــ، الثقافة السائلة، ترجمة: حجاج اب جبر، ط1 2018م، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.
9- ـــــــــــــ، وديفيد ليون، المراقبة السائلة، ترجمة: حجاج ابة جبر، ط1 2017م، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.
10- ـــــــــــــ، وليونيداس دونسكيس، الشر السائل، العيش مع اللابديل، ترجمة حجاج ابو جبر، ط1 2018م، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.
11- محمد حسين الحسيني، دراسات في نقد الحداثة، ط1 2020م، د.ن، بيروت.
12- هارفي سي مانسفيلد، توكفيل، مقدمة قصيرة جداً، ترجمة: مصطفى محمد فؤاد، ط1 2016م، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.
13- يوسف العلوي، زيغمونت باومان، سيرة مختصرة، ط1 2022م، مركز المروءة للدراسات والتخطيط، د.م.

ثانياً: المجلات:

1- حجاج خليل وعفاف جدراوي، الانسان السائل: نحو انطولوجية رقمية سائلة عند زيغمونت باومان، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، العدد (1) 2020م، الجزائر.
2- عفاف جدراوي وعبد الغاني بولسكك، الأخلاق كأفق لعالم الحداثة السائلة: زيغمونت باومان قارئا لإيمانويل لفيناس، مجلة المقدمة للدراسات الانسانية والاجتماعية، عدد (2) 2022م، الجزائر.

ثالثا: الرسائل والاطاريح الجامعية:

1- علي حميد موزان، نقد الحداثة في الفكر السياسي الغربي المعاصر، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية –جامعة بغداد، 1440هـ/2019م.

رابعاً: الكتب الانكليزية:

1- David Walter , The Human Science , A theatrical Study, 1st Edition, The Center of Contemporary Dialogue- New Jersey, U.S.A 2012.

2- David William, State and Democracy in Western World, 1st Edition, Lodvage Printin Home, London.2016

3-John Adams, The Liquid Modernity and the Politics according to Zygmunt Pauman, 1st Edition, RNGD Corporation, H.Solmon, Londod,2000.

4-Karl Skyman,, The Individuality and state, 1st Edition, Anal T,I University Press, U.S.A 2010.